**نجاة أهل العصر في سورة العصر**

الْحَمْدُ لِله ذِي الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعِزَّةِ وَالْبَقَاءِ، وَالرِّفْعَةِ وَالْعَلَاءِ، وَالْمَجْدِ وَالثَّنَاءِ, تَعَالَى عَنِ الْأَنْدَادِ والشُّركاء، وَتَقَدَّسَ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالنُّظَرَاءِ، وَالصَّلَاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّهِ وَصَفِّيِهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامِ الْأَتْقِيَاءِ، عَدَدَ ذَرَّاتِ الثَّرَى، وَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ السَّلَامِ، الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنِ الْعَلَّامِ، شَارِعِ الْأَحْكَامِ، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ, الَّذِي أَكْرَمَنَا بِدِينِ الْإِسْلَامِ, وَمَنَّ عَلَيْنَا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الْمُفَرِّقِ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَذِيرًا لِلْمُخَالِفِينَ، أَكْمَلَ بِهِ بُنْيَانَ النُّبُوَّةِ، وَخَتَمَ بِهِ دِيوَانَ الرِّسَالَةِ، وَأَتَمَّ بِهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنَ الْأَفْعَالِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ نُورًا هَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَحَكَمَ بِالْفَلَاحِ لِمَنْ تَبِعَهُ، وَبِالْخَسَارَةِ لِمَنْ أعرض عنه بعد ما سَمِعَهُ , وبيَّن سبحانه في كتابه سبل النجاة, وطريق الفلاح, وقد أوجز سبحانه بيان ذلك في سورة قصيرة من سور المفصَّل, ألا وهي سورة العصر, وهذا أوان بيان معاني هذه السورة الكريمة, نتعرف من خلالها على سبل النجاة لنسلكها, فنجاة أهل العصر في سورة العصر, والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

***أيها الإخوة المؤمنون !***

قال الله – تعالى - : " وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3 ) " .

**ولنا عدة وقفات مع تلك السورة الكريمة :**

**أما الوقفة الأولى:**

 فقد بدأ سبحانه وتعالى هذه السورة بالقسَم, وربنا سبحانه يقسم بما شاء على ما شاء, ونحن لا نقسم إلا بالله سبحانه, وإذا أقسم الله بشيء فهذا دليل بيّن على عظمة المقسَم عليه, والمقسَم عليه هنا هو " العصر " والمقصود به – على القول المختار – : الدهر أي الزمن كله, قال الإمام الطبري – رحمه الله - : " والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر (وَالْعَصْرِ) اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزِمه هذا الاسم؛ فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه " ([[1]](#footnote-1)) , فهذا دليل على عظمة الزمن وأنه يجب على الإنسان أن يراعي زمانه ولا يفرط فيه, فيغتنم أوقاته ويعمرها بعمل الصالحات, حتى لا يُعيَّر بها يوم القيامة, ويندم على ضياعها أشد الندم, فالوقت نعمة عظيمة كما قال النبي – - : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ " ([[2]](#footnote-2)) , فقد يكون الْإِنْسَان صَحِيحا وَلَا يكون متفرغا لِلْعِبَادَةِ لاشتغاله بِأَسْبَاب المعاش، وَقد يكون متفرغا من الأشغال وَلَا يكون صَحِيحا، فَإِذا اجْتمعَا للْعَبد ثمَّ غلب عَلَيْهِ الكسل عَن نيل الْفَضَائِل فَذَاك الْغبن, كَيفَ وَالدُّنْيَا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أَكثر. ([[3]](#footnote-3))

**وأما الوقفة الثانية:**

 فقد بين ربنا – – أن كل الناس في خسران وهلاك إلا المؤمنون, " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْر " (2) وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي الْمَتَاجِرِ وَالْمَسَاعِي وَصَرْفِ الْأَعْمَارِ فِي أَعْمَالِ الدُّنْيَا لَفِي نَقْصٍ وَضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ حَتَّى يَمُوتَ- وهذا المعنى أولى من غيره - لِمَا فِي لَفْظِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعُمُومِ وَلِدَلَالَةِ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَيْهِ. ([[4]](#footnote-4))

 ثم استثنى ربنا - سبحانه- من الخسران والهلاك؛ المؤمنين الذين جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُمْ فِي رِبْحٍ لَا فِي خُسْرٍ, لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا لِلْآخِرَةِ وَلَمْ تَشْغَلْهُمْ أَعْمَالُ الدُّنْيَا عَنْهَا.

وَهَذَا الْخَبَرُ مُرَادٌ بِهِ الْحُصُولُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِقَرِينَةِ مَقَامِ الْإِنْذَارِ وَالْوَعِيدِ، أَيْ لَفِي خُسْرٍ فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الْآخِرَةِ فَلَا الْتِفَاتَ إِلَى أَحْوَالِ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: "لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ \* مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ " [آل عمرَان: 196، 197] .([[5]](#footnote-5))

**الوقفة الثالثة : بيان صفات عباد الله الناجين من الهلاك :**

**أولا : الإيمان بالله تعالى :**

 والإِيمان هو تصديق بالجنانِ، وقول باللسانِ، وعملٌ بالجوارح والأَركانِ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالعصيان , وأركانه ستة كما قال النبي : «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» ([[6]](#footnote-6)) , فلا ينجوا أحد من الناس حتى يؤمن ويصدق بوجود الله, ويقر بربوبيته وإلهيته, وأسمائه الحسنى وصفاته العلى, ويؤمن بالملائكة؛ يؤمن بوجودهم وبما أخبرنا الله ورسوله عنهم من صفاتهم وأعمالهم, ويؤمن كذلك بأن الله أنزل كتبا على رسله فيها بيان شريعته – سبحانه - وبيان أوامره ونواهيه لعباده , ويؤمن بجميع رسل الله - عليهم السلام - وأن الله أرسلهم ليدعوا الناس إلى توحيد الله وإفراده وحده بالعبادة دون ما سواه من المعبودات الباطلة, ويؤمن بأن هناك يوما آخر, يجمع الله فيه الخلائق للحكم فيهم والفصل بينهم, ويؤمن بقضاء الله وقدره وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن , فمن آمن بهذا نجا, ومن كفر بشيء منه هلك, وقد قال رسول الله :" ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة " ([[7]](#footnote-7))

**ثانيا : عمل الصالحات :**

 وعمل الصالحات هو الدليل على وجود الإيمان في قلب الإنسان , قال ربنا – - «وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» (النساء:125)

 فبين أن الإيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى، بل ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وأنه لا أحد أحسن دينا ممن أسلم: أى انقاد وأطاع بلا حرج ولا منازعة وهذه هى ملة إبراهيم، التي لا يقبل الله دينا غيرها مهما كثرت الأمانى والدعاوى , فالتصديق لا يصح إلا بالعمل وقال الحسن البصري – رحمه الله - : قَالَ: لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي؛ وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ, مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {إلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}(فاطر :10).

 عباد الله ! ولا يكون العمل صالحا إلا إذا توفر فيه شرطان : الإخلاص لله , والمتابعة لرسول الله , وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي: يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متبعا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد, فمن فقد الإخلاص كان منافقا، وهم الذين يراؤون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلا. ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين .([[8]](#footnote-8))

**ثالثا : التواصي بالحق :**

 والتواصي بالحق هو أن يوصي بعضهم بعضا بأداء الطاعات، وترك المحرمات, وفي هذا بيان وجوب الأمر بالمعروف , والنهي عن المنكر, وأن الإنسان لا ينجو إذا كان صالحا في نفسه فقط, بل لا بد أن يكون ساعيا في إصلاح غيره, فيأمر الناس بالحق ويدعوهم إليه , وينهاهم عن الشر ويحذرهم منه, وإلا فالإنسان يأثم إن لم يدْع غيرَه إلى الخير وينهاه عن الشر, ويهلك الجميع , فنحن في سفينة واحدة, يجب أن نتواصى بالحق حتى لا نهلك جميعا , فقد قال النبي : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا اسْتَقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقْنَا في نصيبنا خرْقًا ولم نُؤْذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا " ([[9]](#footnote-9)) , ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ([[10]](#footnote-10)) فالفلاح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , قال ربنا – تبارك وتعالى - : " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (آل عمران : 104) وفي الحديث عن حذيفة ، عن النبي قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليوشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم " ([[11]](#footnote-11)) .

**رابعا : التواصي بالصبر :**

 فالأمر بالصبر أمر جليل , وقد جاء عقب التواصي بالحق – والله أعلم - لأن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لا بد أن يتعرض للأذي فلذلك أمر بالصبر , كما في قوله عن لقمان : " يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " (لقمان : 17) , ويشمل التواصي بالصبر كذلك؛ الصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة , فمن صبر على كل ذلك واحتسب ؛ فأجره على الله, وقد وعد الله أن يوفِّيه أجره بغير حساب , فقد قال سبحانه :" إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " (الزمر : 10) **.**

 **والصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره،** **فهو ثلاثة أقسام:** صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر؛ هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر؛ فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها؛ لم يدرك شيئا وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصا إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله، والتوكل عليه، واللُّجْأ إليه، والافتقار على الدوام, فعلمتَ أن الصبر محتاج إليه العبدُ، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به".([[12]](#footnote-12))

**وقد قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رضي الله عنه - :**

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرُكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ ..... وَلَمْ يَنْهَ قَلْبًا غَاوِيًا حَيْثُ يَمَّمَا

فَيُوشِكُ أَنْ تُلْفَى لَهُ الدَّهْرَ سُبَّةٌ ... إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمْلَأُ الْفَمَا

 وفي الأمر بالصبر مع الأمر بالحق دليل على عظيم مكانة الصبر وشرف أهله , يقول العلامة الشوكاني – رحمه الله - : " وَفِي جَعْلِ التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ قَرِينًا لِلتَّوَاصِي بِالْحَقِّ دَلِيلٌ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهِ وَفَخَامَةِ شَرَفِهِ، وَمَزِيدِ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ عَلَى مَا يَحِقُّ الصَّبْرُ عَلَيْهِ " ([[13]](#footnote-13)) , وَلِمَ لَا والله - تعالى - يقول :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ "

 ( البقرة : 153) .

هذا واللهَ أسأل أن يوفقني وإياكم لمرضاته , ويعيننا جميعا على طاعته وأستغفر الله لي ولكم , فاستغفروه إنه غفور رحيم .

**الخطبة الثانية :**

الحمد رب العالمين , ولي المتقين , وموفق الطائعين , وهادِ المسترشدين , ولا عدوان إلا على الظالمين , والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين , وبعد :

عباد الله !

 فكما ذكرنا أن نجاة أهل العصر في سورة العصر , فمن اتصف بهذه الصفات الأربع التي ذكرناها؛ نجا وأفلح ؛ فبالصفتين الأولتين؛ يكمل الإنسان نفسه، وبالصفتين الأُخرتين؛ يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة؛ يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم .

 وهذه السورة سورة عظيمة, حري بالعبد أن يتدبرها ويعمل بما فيها فقد جمعت خيريْ الدنيا والآخرة , ولذلك قال الإمام الشافعي – رحمه الله -: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم, وقال أيضا : الناس في غفلة عن هذه السورة .

 ولعظمة تلك السورة كان الصحابة يذكِّرون بها بعضهم كُلَّما تقابلوا , فقد روى الإمام الطبراني – رحمه الله - في معجمه الأوسط من حديث عن أبي مَدِينَةالدارمي - واسمه عبد الله بن حصن - - وكانت له صحبة قال: كَانَ الرَّجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا الْتَقَيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ {وَالْعَصْرِ\* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ.» .([[14]](#footnote-14))

فنسأل الله أن يعيننا على العمل بما فيها وأن يرزقنا التوفيق والسداد في الأمر كله, اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات , والمؤمنين والمؤمنات , اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

 كتبها / جمال علي يوسف فياض

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

ماجستير في الحديث الشريف وعلومه

 جامعة الأزهر .

1. - جامع البيان24/ 589 . [↑](#footnote-ref-1)
2. - صحيح البخاري ح 6412 . [↑](#footnote-ref-2)
3. - كشف المشكل , ابن الجوزي , 2/438 . [↑](#footnote-ref-3)
4. - فتح القدير 5/ 600 . [↑](#footnote-ref-4)
5. - التحرير والتنوير 30/ 532 . [↑](#footnote-ref-5)
6. - صحيح مسلم ح 8 . [↑](#footnote-ref-6)
7. - سنن الترمذي , وقال : هذا حديث حسن صحيح . [↑](#footnote-ref-7)
8. - تفسير القرآن العظيم 2/ 422 [↑](#footnote-ref-8)
9. - صحيح البخاري ح 2493 . [↑](#footnote-ref-9)
10. - شرح صحيح البخاري لابن بطال 7/ 13 . [↑](#footnote-ref-10)
11. - سنن الترمذي , وقال : هذا حديث حسن. [↑](#footnote-ref-11)
12. - تفسير السعدي ص 74 . [↑](#footnote-ref-12)
13. - فتح القدير 5/ 601 . [↑](#footnote-ref-13)
14. - المعجم الأوسط ح 5124 , انظر الصحيحة: 2648 . [↑](#footnote-ref-14)